ادارة جديدة في فلسطين»، لتكون اساساً للمفاوضات. تضمّنت المذكرة عدداً من الاقتراحات، أهمها: اولاً، انشاء مؤسسة يهودية شبه حكومية في فلسطين؛ ثانياً، اضفاء الصفة «الوطنية الشرعية» على المؤسسة؛ ثالثاً، يسمح للمؤسسة بتشجيع، ورعاية، الاستيطان اليهودي في فلسطين.

بعد اطلاع رئيس الوزراء البريطاني، اسكويث، على المذكرة، وضعها في درج مكتبه، وظل الوضع شبه مجمّد الى ان عُيّن لويد جورج محل اسكويث، في رئاسة الوزارة، وآرثر بلفور وزيراً للخارجية، في كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٦. وبوصول هذين الرجلين، المجنّدين لخدمة الصهيونية، الى الحكم اصبحت المعركة شبه منتهية بالنسبة الى الصهيونيين، وبات الالتزام البريطاني بالقضية الصهيونية كاملاً، وراسخاً.

الاعداد لـ «وعد بلفور»

في شباط (فبراير) ١٩١٧، أي بعد نحو شهرين من تأليف وزارة لويد جورج، فوّضت الحكومة الجديدة مارك سايكس بفتح باب المفاوضات مع المنظمة الصهيونية.

عقد الاجتماع الاول في منزل رئيس الحاخامين في انكلترا، موشي غاستر، أي في المكان ذاته الذي انقلب فيه سايكس، قبل سنوات عدة، الى متصهين شديد الولاء للصهيونية. افتتح الاجتماع صاحب المنزل، غاستر. وبعد كلام كثير عن معاناة اليهود طوال القرون الماضية، وتطلعهم المستمر الى «العودة الى أرض الميعاد التي وعدهم الرب بها»، قال الحاخام الصهيوني ان الصهيونية لديها من الرؤيا ما يجعلها تعتقد بأن من الممكن تحقيق «هدفها القومي» من طريق وضع فلسطين تحت السيادة البريطانية.

كان المتحدث الثاني هربرت صموئيل، الصهيوني، الذي اصبح، فيما بعد، اول مندوب سام بريطاني في فلسطين بعد تكريس الانتداب البريطاني محل الادارة العسكرية في العام ١٩٢٠. تحدث صموئيل عن الوضع القانوني لليهود المهاجرين، وطالب بمنحهم حقوق المواطنة كاملة، مثلهم مثل بقية السكان. وتكلم، بعده، وايزمان، محذّراً السلطة، التي ستعهد اليها مسؤولية الانتداب بعد الحرب، من وضع أية قيود وبأي شكل من الاشكال على هجرة اليهود الى فلسطين. ولمّا سمع سايكس هذه الافكار والطموحات المتطرّفة دهش، على الرغم من ميوله الصهيونية، فطلب من الحاضرين ان يكونوا أكثر واقعية، وان يأخذوا بالاعتبار الصعوبات والمشاكل التي تواجهها الصهيونية، لافتاً نظرهم الى شكوك روسيا العميقة تجاه الصهيونية وأهدافها، واصرار فرنسا المتعنّت على وضع سوريا الكبرى، بما فيها فلسطين، تحت انتدابها، بالاضافة الى ما سيواجهونه من المقاومة العربية.

في نهاية الاجتماع، لخّص قادة الصهيونية مطالبهم بالشكل التالي: أولاً، اعتراف دولي بـ «الحقوق اليهودية في فلسطين»؛ ثانياً، الاعتراف «بشرعية استيطان الشعب اليهودي في فلسطين»؛ ثالثاً، منح شركة يهودية اجازة خاصة لشراء الاراضي في فلسطين؛ رابعاً، توحيد فلسطين تحت ادارة واحدة؛ خامساً، تتمتّع الاماكن الدينية بالحصانة تحت اشراف دولي.

تمثّل الفقرات الثلاثة الاولى اهدافاً صهيونية. امّا الفقرتان، الرابعة والخامسة، فهما لاسترضاء بريطانيا وروسيا.

اللافت والمثير للدهشة، هنا، ان المشتركين في تلك المساومات والصفقات السياسية والمؤامرات، والذين لا علاقة لهم بفلسطين من قريب أو بعيد، تجاهلوا الشعب الفلسطيني، صاحب الحق